

الشيخ محمد بن العابد الجلاّلي بين "المعلم الفقيه وخطاب التّوجيه"

Sheikh Muhammad bin Al-Abed Al-Jallali
"The Islamic Jurist and the Discourse of Guidance"

ماجدة نعيو*

مخبر الموسوعة الجزائرية الميسرة

جامعة باتنة-1-(الجزائر) madjda.naiou@univ-batna.dz

2023/03/03	تاريخ القبول	2022/12/05	تاريخ الإرسال
------------	--------------	------------	---------------

ملخص

قد لا يخفى على أحد ما قامت به جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بقيادة الشيخ عبد الحميد بن باديس من دور تاريخي وحضاري في الحفاظ على مقومات الأمة الجزائرية .
تروم هذه الدراسة إلقاء الضوء على شخصيّة بارزة من شخصيات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وهو الشيخ العابد السّماتي الجلاّلي الذي جمع بين خطابين؛ أولهما خطاب فقهي وإصلاحي يروم من خلاله توجيه الناشئة، وثانمها خطاب أدبي، وهو ما مكّنه من أن يبلغ شأوا عظيما داخل بيت الجمعية لينتقل صداه خارج أسوارها، لذلك سنحاول في هذه الورقة البحثية تتبع مساره الإصلاحي والتعلّيمي في مجال العلوم الشرعية وإبداعه الأدبي وإسهاماته المختلفة التي خلّدت اسمه بين أعلام جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.
الكلمات المفتاحية: محمد العابد الجلاّلي؛ الخطاب؛ الجمعية؛ الإصلاحي؛ الجزائر.

Abstract

None can deny the historical and civilizational role of the Association of Algerian Muslim Scholars led by Sheikh Abdul Hamid bin Badis in preserving the foundations of the Algerian nation. The present study aims to shed light on a prominent figure of the Algerian Muslim Scholars Association, Sheikh Mohamed al-Abed al-Samati al-Jalali, who combined two discourses. The first is a reformist jurisprudential discourse aiming to guide the youth whereas the second is a literary discourse, that enabled him to reach a great status within the house of the association to transmit its echo outside. It also attempts to trace his reform and educational path in the field of Sharia sciences and his literary creativity and various contributions immortalizing his name among the figures of the Algerian Muslim Scholars Association.

Keywords: Muhammad al-Abed al-Jalali; discourse; association; reform; Algeria

1. مقدمة

لعبت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين دورا بارزا في الحركة الوطنية والثقافية في تاريخ الجزائر الحديث، فلا أحد ينكر أو ينسى فضل الجمعية في ربط الجزائريين بمقومات وجودهم وهويتهم بفضل مواقفهم وكتاباتهم وإبداعهم، إذ يموت الرجال وتبقى آثارهم خالدة ومواقفهم شاهدة على ما قدّموه من تضحية وما نشره من علوم وفنون خلّدت أسماءهم بعد أن فنيت أجسادهم تحت التراب.

ومحمد بن العابد الجلاّلي أو الشيخ العابد سماتي العالم الجليل المنحدر من واحات الجزائر واحد من رجالات الجمعية الذين كانت لهم إسهامات متعددة المجالات في بيت الجمعية وخارجها، شأنه في ذلك شأن أعضاء الجمعية البارزين، والذي تنوعت نشاطاته بين التربية والتعليم وتوجيه الناشئة إلى الأخلاق الفاضلة التي تصون قيم الأمة والمجتمع. غير أنه لم يأخذ حقّه من الدراسة إلا بعض الدراسات-على قلّتها- التي خصّصت الشيخ بالبحث لعل أبرزها: محمد العابد سماتي لعتيقة سماتي، ومحمد بن العابد الجلاّلي "العالم المرّي والوطني المجاهد" لسليم كرام أو بعض الإشارات هنا وهناك عند الحديث عن نشاطات الجمعية ورجالها، مما يستدعي إلقاء الضوء على جوانب من مسيرته التعليمية والإصلاحية والأدبية المتنوّعة.

لذلك سنسعى في هذه الورقة البحثية الموسومة ب"العلامة الشيخ محمد بن العابد الجلاّلي بين "المعلّم الفقيه وخطاب التّوجيه" إلى الوقوف عند محطات هامة من حياته الشخصية والثقافية التي جعلته يحتلّ هذه المكانة العلمية. فمن يكون محمد العابد الجلاّلي؟ وما هي مكانته داخل بيت الجمعية؟ وما هي أبرز إسهاماته العلمية والأدبية التي جعلته يحتلّ هذه المنزلة؟

من أجل الإجابة عن هذه الأسئلة وأخرى سنعتمد على المنهج الوصفي مع المقاربة التاريخية للتعرف أكثر على هذا العالم الجليل، وبيان مدى إسهامه في الحركة الوطنية والأدبية في تاريخ الجزائر الحديث.

1. التعريف بالشخصية:

1.1 المولد والنشأة: هو محمد بن العابد بن عبد الله بن السّايح بن سيدي يوسف بن سماتي، والدته هي السيدة لآلة خديجة بنت محمد بن الزروق بن الشيخ السماتي المعروف في الوسط التربوي والنضالي (المحلي والوطني) بمحمد بن العابد الجلاي، ولد سنة 1890م الموافق لـ 1308هـ بمدينة أولاد جلال ولاية بسكرة، الواقعة في الجنوب الشرقي للجزائر، وهو من أسرة محافظة لها أصول وجزور في الثقافة والفكر. (مصمودي، 2001، صفحة 74)

في هذا الحضر الأسي المشبع بالقيم الأخلاقية وفي هذه العائلة المحافظة نشأ الشيخ محمد بن العابد وترعرع في كنفها، وأخذ علوم الدين على يد والده الشيخ العابد السّماتي الذي كان إماما وشاعرا وكاتب بلدة أولاد جلال آنذاك، وكان له اطلاع واسع على علوم الدين وأحكام الشريعة، كما عُرف والده بمعاداته للقوات الاستعمارية، حيث "رفض اقتراح السلطات الفرنسية ترسيمه في منصب الإمامة واختار أن يكون متنقلا بين مساجد وزوايا البلدة وزاوية الهامل بمنطقة بوسعادة وجامع أورلال." (سماتي، 2010، صفحة 10)، وهو ما يدلّ على تشبّع العائلة بالحسّ الوطني والثوري وعدم المساومة على الوطن مهما كانت الظروف.

تلقى تعليمه على يد الشيخ (عبد الحفيظ بن سي الشريف السماتي) علوم الفقه والنحو وعلم الكلام بمقام الحاج آل سماتي المعروف بمنطقة

(الصّحن) بأولاد جلال الذي تذكر الدراسات أنه تأسّس في القرن الخامس عشر الميلادي، كما تتلمذ الشيخ على يد مصطفى مبروكين، واتصل بالشاعر عاشور الخنقي. وقد حاول الشيخ السماطي شأنه شأن شباب جيله الذهاب إلى المشرق العربي غير أن الظروف السياسية آنذاك وقفت حائلا دون ذلك، عاد الشيخ إلى بلدته وعمل مدرّسا للقرآن الكريم. وبعد رواج فكر المدرسة الإصلاحية بقيادة الشيخ عبد الحميد بن باديس تأثر الشيخ السماطي بهذا الاتجاه، وحاول جاهدا الاتصال بالشيخ والتقرّب منه والاستزادة من علمه، غير أن رغبة والدته حالت دون التحاقه بالجمعية. إذ رغبت في تزويجه واستقراره في بلدته، وهو ما حدث فعلا، غير أن رغبته في الالتحاق بالجمعية لم تفتّر وكانت مؤجلة إلى حين. (سماتي، 2010، صفحة 12)، فما إن سنحت الفرصة حتى هبّ الشيخ ملييا نداء العلم ورغبته الدفينة في الانتساب للجمعية والاستزادة من علوم الشيخ ابن باديس.

1.2 الشيخ محمد بن العابد الجلاّلي وانضمامه لجمعية العلماء:

شدّ الشيخ العابد الجلاّلي الرّحال إلى قسنطينة عام 1920م حيث تعرّف على طلبة الشيخ ابن باديس وأصبح أحد طلبته، فأنهمر الشاب محمد بن العابد بعلم الشيخ وطرحه الجيّد والجديد للقضايا، فأنفتحت أمامه آفاق جديدة للعلم والمعرفة، فوجد فيه ضالّته المنشودة، إذ لزم مجالس الشيخ الذي أولاه رعايته بالنظر إلى ما وجد فيه من رغبة في العلم وجدّ في المعرفة، وعندما تأسست مدرسة التربية والتعليم الإسلامية الحرّة بقسنطينة عام 1930 اختاره العلّامة ابن باديس أن يكون من طاقمها التدريسي. (كرّام، 2013، صفحة 193، 194)

ومن هنا كانت الانطلاقة الحقيقية للشيخ محمد الجلاّلي حيث فتحت له أبواب الجمعية على مصراعها، فكانت بداية توهّجه بين زملائه وبخاصة في

مجال التدريس والتعليم، المهنة التي أثبت فيها ذاته، وجعلت الجميع يشهد له فيها بالتميّز .

2. العلامة محمد بن العابد الجلاّلي ونشاطه التربوي التعليمي:

بدأ مسيرته التعليمية عندما أرسله الشيخ ابن باديس إلى بلدة العلمة بولاية سطيف للتدريس بمدرستها الحرّة، غير أنه لم يطل البقاء طويلا، فاستقدمه ابن باديس وأسند إليه تدريس المرحلة الابتدائية في قسنطينة، التي نجح فيها نجاحا باهرا، ولقبه الشيخ بالمعلم المثالي، وقال عنه الإبراهيمي "وله في تربية الصغار وتحبيب العلم إلى نفوسهم طرائق نفسية هو فيها نسيج وحده"، فكان ينطلق من خطة علمية تقوم على عنصرين أساسيين هما الطفل والقيم وأول هذه القيم (الجزائر والإسلام) ، فقد عامل محمد بن العابد السماتي طلابه وفق ما تملّيه طرائق التدريس الحديثة، فلم يذكر أنه عاقب تلميذا أو زجر صاحب حقّ. (كرّام، 2013، صفحة 194، 195)

وبروز الشيخ محمد العابد الجلاّلي في التعليم لم يتأتّ من فراغ، فقد أحبّ ابن العابد مهنة التعليم منذ طفولته؛ إذ وجد والده معلّما كما أن أغلب أفراد أسرته يعملون في هذا المجال" ولم يقتصر التعليم في أسرته على الرجال فحسب بل شمل بعض النساء إذ فتحن بيوتهن لتعليم الفتيات القراءة والكتابة وخاصة القرآن الكريم" (سماتي، 2010، صفحة 41) وهذه الرسالة التعليمية النبيلة المترسّخة في وجوده ظلّت ترافقه إلى آخر أيام حياته كما سنعرف لاحقا.

وقد أرسله الشيخ ابن باديس مرّة أخرى إلى مدرسة العلمة وكان أول تعيين له، فاستقبله أهل المدينة بحفاوة كبيرة، غير أن السلطات الاستعمارية ضاقت به ذرعا، فعمدت إلى غلق المدرسة ليعود الشيخ العابد الجلاّلي إلى

قسنطينة لمباشرة مهامه التعليمية إلى جانب مبارك الميلي والفضيل الورثيلاّني والزغداني والأخضري وبقي على هذا الحال إلى أن أتمّ العلامة ابن باديس بناء مدرسة التربية والتعليم. (سماتي، 2010، صفحة 27)، حيث استمر فيها عطاؤه العلمي الخصيب ردحا من الزمن.

بعد وفاة العلامة ابن باديس انتدب الشيخ البشير الإبراهيمي محمد بن العابد الجلاّلي إلى مهمة أكبر؛ فقد وجّهه ليكون مديرا لمدرسة التربية والتعليم ببسكرة، وقد شهد له بالكفاءة كلّ من عرفه، إذ كان معلّما في النهار مرشدا في الليل، وقد أسس حينها فرعا كشفيا سماه (الرّجاء)، ونشطه رفقة تلاميذه ومعلّمي المدرسة الذين نال عندهم مكانة عظيمة بالنظر إلى مواقفه ووطنيته وأفكاره النيرة. (كرّام، 2013، صفحة 196)

انتقل الشيخ محمد السماتي الجلاّلي إلى مدرسة عين مليلة في الفترة الممتدّة بين عامي 1947م و1954م، وقد عرف عنه النشاط والحيوية والتفاني في العمل رفقة زملائه من حملة الفكر الإصلاحي، وكان يدير المدرسة الشيخ محمد العيد آل خليفة. غير أنه لم يلبث أن غادر حجرات التدريس ما إن اندلعت ثورة التحرير المضفرة مليبا نداء الوطن، فالتحق بصفوف جيش التحرير الوطني ليسجن ويمضي فترة جهاده في السجن، وبعد الاستقلال عاد إلى مدرسة عين مليلة التي قضى فيها ثلاث سنوات إلى أن عجز تماما بفعل تدهور حالته الصحيّة. (كرّام، 2013، صفحة 196)

ومن جملة الأساليب التي اعتمد عليها الشيخ محمد بن العابد الجلاّلي التعليم بالسرد أو القصّ؛ إذ إن الشيخ ابن العابد لما شعر بتأثير القصة على الأطفال "لجأ إليها مستعينا بها في تشويق التلاميذ وزرع الرغبة في نفوسهم. ولكن لجوءه إلى القصة كان مرتبطا بالنواحي التاريخية والأخلاقية والاجتماعية" (خرفي، 1972، صفحة 209)، وأسلوب القصّ أسلوب تربوي

تعتمد عليه بعض المدارس اللغوية لما له من أثر عميق في ترسيخ المعارف والمعلومات في أذهان الناشئة خاصة الفئات العمرية الصغيرة. لذلك وجد الشيخ السماتي القبول والمحبة في نفوس تلامذته نظير طريقته المشوقة في التعليم والتربية.

يضاف إلى ما سبق أن تلامذة الشيخ الجلاي لم يقف تعلقهم به عند حدود الدرس بل تعداه إلى إعجابهم بطريقة تعامله وتسييره للمستجدات، إذ كان قريبا منهم ومن مشاكلهم، ذلك أنه " عندما يقعون في مأزق مع غيره من المعلمين يلجؤون إليه ليساعدهم فلا يتردد بل يبادر إلى المساعدة" (كرّام، 2013، صفحة 195) وهذا إن دلّ على شيء إنما يدلّ على ما للشيخ من جاذبية مغناطيسية بارزة في تعامله مع تلاميذه بكل عطف وحنان "ومن هنا فإن علاقته بتلاميذه لم تنقطع، وإن انقطعوا عن الدراسة، لأن تعلقهم به يدفعهم دائما إلى الاتصال بالشيخ ودعوته في المناسبات" (سماتي، 2010، صفحة 18)، فعلاقته ظلت وطيدة بمتعلميه، فكان نموذجا للمربي الحكيم الحريص على سلوكات وأخلاق متعلميه وذلك ديدن أساتذة مدرسة الجمعية " لذلك لم يهتم بتلقين مادة التربية الأخلاقية قدر اهتمامه بسيرة المعلم وسلوكه أمام تلاميذه. فالقدوة في نظره أحسن معلم" (كرّام، 2013، صفحة 19)، لذلك كان أثره بارزا وبصمته واضحة في متعلميه وإن تقادم العهد فذكره بقيت حاضرة في أذهانهم.

ومن جملة الذين تتلمذوا على يده الكاتب النابغة (مالك بن نبي) الذي قال فيه "لولا دروس الشيخ مولود بن موهوب في التوحيد وسيرة النبي وتلك التي للشيخ بن العابد في الفقه فقد كانت هذه مذكرا قويا يعود بروحي إلى الطريق الصحيح" (نبي، 1984، صفحة 66)، فطريقة الشيخ العابد الجلاي كان لها

الأثر العميق في غرس الروح الوطنية والدينية وسط تلامذته، الذين لم ينسوا فضله وطريقته المميزة في نقل العلوم والمعارف.

3. الآراء التربوية للشيخ محمد بن العابد الجلاي:

بناء على الخبرة التي حصل عليها الشيخ في مجال التدريس أمكن له المناداة بجملة من الإصلاحات التربوية التي كان على رأسها: (سماتي، 2010، صفحة 12)

- مراعاة الواقع الجزائري وبيئة الطفل المتعلم في اختيار الموضوعات وطبع الكتب.
- الدعوة إلى مجانية التعليم وجزارة الكتاب المدرسي والطرق البيداغوجية.
- ربط التعليم بالتربية لأنهما متلازمان، فالمعلم أب ثان لا تقل مكانته ووظيفته عن وظيفة الأب.
- الدعوة إلى محاربة الاكتظاظ داخل الأقسام مما يؤثر على مردودية المتعلم.

4. نشاطه السياسي والثوري:

بعد انتساب الشيخ محمد بن العابد الجلاي إلى حزب الشعب وإعلانه عن مواقفه المؤيدة لحركة انتصار الحريّات نشب بينه وبين أعضاء جمعية المسلمين الجزائريين صراع أدى إلى إصدار قرار بتنزيله من رتبة مدير إلى معلم بالمدرسة نفسها (مدرسة بسكرة) وكان ردّه على من اتهمه بالنكران والجحود) صحيح أنا ابن الجمعية ولا أنكر أفضالها ما حييت، لكن ليس على الأم أن تحجر أفكار ابنها) (سماتي، 2010، صفحة 28)

ولم يلبث الشيخ محمد بن العابد الجلاي أن غادر حجات التدريس ما إن اندلعت ثورة التحرير المباركة ملبياً نداء الوطن، فالتحق بصفوف جيش

التحرير الوطني ليسجن ويمضي فترة جهاده في السجن نتيجة نشاطه الثوري، حيث "ألقي القبض عليه بنواحي الخروب رفقة شلة من أصحابه فوقعوا في قبضة الجيش الفرنسي الذي كان يتحرّق لإلقاء القبض على هاته الأشباح التي هزّت كيان فرنسا، وكان الضابط يظن أن أضعف حلقة في هذه المجموعة هو الشيخ السماتي هذا الشيخ الهرم" فلم يعبأ بجلاديه ولا بتهدياتهم" (رمضان، 1968، صفحة 61)، وهو ما نقله من كان برفقته في سنوات سجنه.

اتّصف الشيخ محمد بن العابد الجلاّلي بقوة صبره وجلده فقد "كان في سجنه يتحلّى بالصبر الجميل مدة سبع سنوات، لم يزره أحد من أهله أو ذويه طيلة فترة الإقامة كان فيها صامدا مستخفاً بالأم السجن وعذابه مستعينا على ذلك بتقوى الله وبرياضة اليوجا التي كان يمارسها يوميا... وفي مطلع الاستقلال يغادر ابن العابد سجن البرواقية منهوك القوى، قوي الإرادة والعزم" (سماتي، 2010، صفحة 70، 71)، فقد خرج الشيخ الجليل متعبا صحيا بالنظر إلى ما لاقاه من أصناف التعذيب على يد المحتلّ الذي لم يظفر منه بكلمة بل كان صابرا قويّا من أجل وطنه وخدمة لقضيته الوطنية.

5. مواقف وشخصية الشيخ محمد بن العابد الجلاّلي:

عرف عن الشيخ العابد السماتي ميله الشديد للتاريخ حيث أقحم التاريخ في مسامراته الخاصّة، وفي أحاديثه العامة، وفي كتاباته الثرية والشعرية "وهو في هذا الموضوع ليس متعصبا، يهتم بالتاريخ العالمي ويستعرضه في مناسبات الاستشهاد للعبارة وللإفادة من تجارب الآخرين في العالم، ويهتمّ بالتاريخ العربي تأكيدا لانتماء الجزائر للعالم العربي ويهتم أكثر بتاريخ الجزائر، ويختار في تدريسه مواقف رجال الجزائر في مختلف العصور" وربما يعود ذلك لاعتقاده

بأن التاريخ مادة فعّالة لغرس الروح الوطنية في الأطفال والشباب" (سماتي، 2010، صفحة 21).

وقد عرف عن الجمعية تقديسها لثالثوث (الإسلام- العروبة- الوطن)، لذلك لم يشدّد الشيخ السماتي عن هذا الثالثوث المقدّس " لقد كان محمد بن العابد المرّي الذي حاول أن يصلح المجتمع من جميع الوجوه وبخاصة الوجه التربوي إذ يرى أن التربية تسبق التعليم وأن التعليم يجب أن يقوم على المبادئ الثلاثة ألا وهي الإسلام والعروبة والوطن" (سماتي، 2010، صفحة 6)، وهو ما يتطابق حرفياً مع نهج جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في هذا الثالثوث المقدّس إن صح التعبير.

1.5 الوطن:

لا مجال للمزايدة في وطنية الشيخ العابد الجلاّلي، ذلك أن " وطنيته وطنيّة ثورية متصلّبة في المعاملة. لا يعترف بالمهادنة في حقّ، ولا بالمساومة في مبدأ، لقد عرف بطبيعته الثائرة، وكأنّ الثورة نبتت في أعصابه، فهو ثائر دوماً على الأوضاع الفاسدة وعلى العادات والتقاليد البالية والسخيفة، ثائر على الاستبداد والانحراف والظلم والطغيان بشتى أساليبه وأنواعه أينما كان، ويتألم من كل ما يؤذي الذوق السليم وكل ما يناهض الطبيعة ويصدم الفطرة التي فطر عليها الإنسان، يمجدّ الوطنية الشريفة والأحرار المخلصين العاملين على تحرير أوطانهم كيفما كان جنسهم" (سماتي، 2010، صفحة 60)

2.5 اللغة العربية:

يقول العابد السّماتي في اللغة العربية: " هي لسان الجنس والدين، وطالما كانت اللغة العربية هي مظهر الأمة ومجرى دم الحياة فيها فهي مشرق أنواع تاريخها وهي كنز مآلها، ومنار عزمها وفخرها وعلى الجملة فهي مجمع عناصر حياتها" (الجلاّلي، 1930، صفحة 206) كما لا يخفى علينا دفاعه المستميت

عنها من خلال تعليمها للنشء والكتابة بها في ما أبدع من نثر وشعر ومقال وقصة. وإعجابه باللغة العربية لم يكن من فراغ، كيف لا وهو الحافظ لكتاب الله، الحامل لرسالة التعليم باللغة العربية محاربا كل المنتصرين للغة الفرنسية.

3.5 الإسلام:

نظرة الشيخ محمد بن العابد للإسلام لا تختلف عن العربية، غير أن ما ميّزه في هذا الموضوع محاربه الميدانية لكل ما شاع من خرافات وبدع سرت في أوساط المجتمع نتيجة الجهل والامية، يقول الشيخ: "أماننا من مظهر المسلمين مجموعة من السخافات يدعونها إسلاما خلقها أو أحيائها في نفوسهم استبداد غيرهم بهم، ونفاق علمائهم...خلق متاع وعواطف ضيقة وأغراض منحطة وعقائد مهلهلة، وعوائد مزرية أهذا هو الإسلام اللهم لا وألف لا..." (الجلالي، الإسلام في بلادنا، 1938، صفحة 615)، فالإسلام بنظر الشيخ براء من كل الخرافات والبدع المنتشرة، إذ يحكي أهالي البلدة (أولاد جلال) ما فعله هذا العالم الجليل في سبيل محاربة البدع وزيارة الأضرحة والمقامات بنية قضاء الحوائج وتقديمهم للقرايين والأضاحي بغية تحقيق مطالبهم. وهو ما استنكره الشيخ وجعله يحاربه ميدانيا. لذلك حاول زرع الثوابت الدينية في نفوس متعلميه.

ومما نلاحظه مما سبق أن الشيخ لا يكاد يفصل بين عناصر هذا الثالوث المقدس، إذ يقول في هذا الشأن: "من يموت دون دينه يعتبر شهيدا، ومن يموت دون داره يعتبر أيضا شهيدا، فما بالك بمن يموت في سبيل الوطن" (العلوي، 1995، صفحة 121)

6. محمد بن العابد السّماتي المبدع القاص:

يربط كثير من النقاد بين نشأة فن القصة العربية في الجزائر واسم الشيخ الجلاّلي، حيث " بذل محمد بن العابد الجلاّلي جهودا طيبة في سبيل إرساء تقاليد الفن القصصي في الأدب الجزائري المعاصر" (شربيط، 1998، صفحة 55)، وقد عدّ الدكتور صالح خرفي محمد العابد الجلاّلي أول من كتب القصة القصيرة في الجزائر والقصة العربية بشكل خاص (خرفي، 1972، صفحة 211، 212)، فقد كان الجلاّلي ناشطا على مستوى جريدة الشهاب التي كان ينشر فيها ما جادت به مخيلته الأدبية ذات الفكر الإصلاحية.

كما حملت جريدة الشهاب سبع قصص من تأليف الشيخ السماتي مابين سنتي 1935م و1937م وهي على التّوالي (في القطار ، والسعادة البتراء، والصائد في الفخّ، وأعنيّ على الهدم أعنك على البناء، وتمّوز، وبعد الملاقاة، وعلى صوت البدال) (مرحوم، 1977، صفحة 74)، وقد تطرّق في هذه الكتابات إلى موضوعات عدّة شملت مناحي الحياة كافة، ويلحظ القارئ لهذه الكتابات قفز الكاتب - بعض الشيء- على خط الإصلاح الذي رسمته الجمعية، حين تطرّق الشيخ العابد إلى موضوعات عاطفية كانت تعدّ في زمنها أحد الطّابوهات التي يتحرّج كتّاب المدرسة الإصلاحية من التطرّق إليها، إذ كان الالتزام بالقضية الوطنية وإصلاح المجتمع أهم ما يشغل كتّاب المدرسة. وقد كتب محمد بن العابد الجلاّلي القصة " لكي يعرض وجهة نظر ما أو ليقول لقرائه شيئا معيناً" (سماتي، 2010، صفحة 116)، غير أن ما يحسب للشيخ السماتي هو ثراء موضوعاته وأسلوبه الفنّي المتميّز مما جعل عددا غير قليل من الدارسين يعدّونه رائدا للقصة العربية الجزائرية، وقد عبّرت الكاتبة الفلسطينية عايدة أديب بامية في كتابها (تطور الفن القصصي) عن هذا التميّز بقولها إنه تميّز في " جودة كتابته، وعمق تفكيره، وروحه النقدية، ومرحه، وموقفه الجريء إزاء السلطات الفرنسية والمجتمع الجزائري

التقليدي" (بامية، 1982، صفحة 217) لتضيف قائلة: " لا يمكن أن ننسى مساهمة الجلاي ودوره الذي لعبه في مجال القصة القصيرة، فهذا الأخير يستحق اعتراف الحبر بفضله، ذلك لأنه عمل في جو خلو من أي منافسة أو انتقاد لتتحداه، ورغم هذه الظروف الخاصة فهو يعتبر رائدا في هذا المقال القصصي ويعتبر الجلاي واحدا من كتاب قليلين أبدوا إلى حدّ ما اهتماما ملحوظا بالشكل، ذلك لأن معظم الكتّاب كانوا يركّزون كثيرا على الأفكار التي يريدون التعبير عنها ويهملون الشكل على حساب المضمون" (بامية، 1982، صفحة 353، 354).

ويجدر التنويه إلى أن الشيخ محمد بن العابد الجلاي كان ينشر قصصه باسم مستعار هو (رشيد)، وقد أشار الناقد الصالح خرفي إلى هذا عندما عبّر عن إعجابه الشديد ببراعة أسلوبه حين قال " ذلك هو رشيد في أسلوبه القصصي الرّصين وفي نقاء عبارته وصفائها، وذلك هو رشيد في أفكاره الجريئة في تغنيّه بالحرية والاستقلال، في تنويّه بالجبال الشامخة وأبطالها المغاوير، والإشادة بدورهم الاشتراكي السامي الذي لعبوه" (خرفي، 1972، صفحة 217)

كما يرى عبد المالك مرتاض أن ابن العابد يأتي في المرتبة الثانية بعد الزّاهري، وقد علل قوله هذا أن ابن العابد قد حاول في إصرار كبير أن يقفز بالفن القصصي في الجزائر إلى مستوى مقبول" فقد كتب هذا الأديب مجموعة قصصية نشرها بمجلة الشهاب طوال سنوات خمسة وثلاثين وستة وثلاثين وسبعة وثلاثين باسم مستعار هو رشيد هذا لدى القصاصين الجزائريين رمزا لهذا الفن الأدبي الجميل" (مرتاض، 1983، صفحة 175)، حيث ظهرت القصة بشكلها الفني المحدّد على يد مجموعة من الأدباء "أمثال رضا حوحو

وعبد المجيد الشافعي ومحمد بن العابد الجلاّلي" (مرتاض، 1983، صفحة 158)

أما عبد الله ركيبي فيرى أن ابن العابد يأتي في المرتبة الثانية بعد رضا حوحو، وهذا عائد إلى كون ابن العابد يرى في القصة وسيلة للمحافظة على اللغة العربية وليست مجالاً للفن والإبداع، وقد استدللّ بقول ابن العابد نفسه إذ يقول: "من ذا الذي ينكر على الرواية والقصة فضلها في تأصيل اللغة وتنمية روحها" (ركيبي، 1969، صفحة 137)، فهو على هذا الأساس يمكن اعتباره رائداً في هذا المجال "وليس هذا أنه يأتي في مرتبة أعلى بالنسبة لحوحو أو مساويا له، ولكن في الإمكان مقارنة ببعض قصص حوحو، ومن جهة ثانية، فإن هناك بعض التشابه في الأسلوب الذي اتّبعه حوحو في حمار الحكيم، والأسلوب الذي اتبعه في قصتيه في القطار وبعض الملاقاة" (بامية، 1982، صفحة 355).

في حين أن أحمد بن ذياب رأى أن قصصه هي نموذج متكامل للقصة من حيث روعة العرض وشدّة الاتصال وتشخيصها للمشاكل ومن ثمة معالجتها مما يسلب لبّ القارئ بفضل جمال سياقها وشدّة حيكمتها، ممّا يجعل القارئ ينتظر بفارغ الصبر فيظلّ "ينتظر المصير متسائلاً عن أيّ المفاجآت يتجلّى الموقف" (ذياب، 1981، صفحة 15)، وما يميز كتابات العابد الجلاّلي هو "حسن اختياره لشخصيات تعبر في معظم الأوقات عن مواقف فئات متباينة في الرأي" (شريبط، 1998، صفحة 155)، فقد اختار محمد العابد الجلاّلي فن القصة لما له من أثر في النفوس التي تتفاعل مع الأحداث والشخصيات، كلّ هذا من أجل دفع القراء نحو التمسك بالقيم الأخلاقية السامية. فأهدافه تتجاوز الأبعاد الفنيّة إلى الالتزام بالقضايا وصبّ التوجيهات في القوالب الأدبية المتنوعة.

7. محمد العابد السّماتي الشاعر والأنشودة الوطنية

عرف عن أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ميلهم إلى انتهاج الخطاب الإصلاحى فى القوالب الشعرية " إذ قد يكون الشعر توجهها وخيارا جماعيا، ولم يشدّ الشيخ العابد عن هذه القاعدة حتى اتخذ من الأنشودة التربوية سبيله وسيفه الحادّ فى وجه التغريب الذى أخذ طريقه فى الأوساط الاجتماعية." (كرّام، 2013، صفحة 198)

يعود السبب وراء اتجاه الشيخ محمد بن العابد الجلاى إلى الأنشودة المدرسية إلى حادثة وقعت وسط ساحة المدرسة؛ حيث تذكر المصادر قصة الشيخ العابد مع فتيات المدرسة اللواتى كنّ يدرسن عنده وكنّ يلعبن فى ساحة المدرسة وأنشدن مقطعا غنائيا من أناشيد الصبية الفرنسيين " j'aime la galette" فكنّ لا يحسنّ نطقها ويقلن " جميلة القليطة" فثارت ثورة الشيخ ودعاهن الى الفصل وزجرهن بقوله: " ألا تعلمن أنكن تدرسن فى مدرسة عربية إسلامية... وما هذه الأنشودة إلا إهانة ومسبة للبننت الجزائرية" فردّت إحداهن بقولها: " يا سيدي ليس لدينا أنشودة أخرى باللغة العربية ننشدها محلّ الأنشودة الفرنسية" (مصمودي، 2001، صفحة 78)، ممّا دعا الشيخ إلى البحث عن البديل عوض تعنيف الفتيات اللواتى لا ذنب لهن، وهو ما كان مقدمة لتأليفه للأنشودة العربية فى بعدها العربى والإسلامى المشبع بمقومات الأمة.

كما لاحظ الشيخ ابن العابد سماتى اهتمام الأطفال – عموما- بالأناشيد الفرنسية لما فيها من نغم وموسيقى يسلب الأبواب خاصة عند هذه الفئة الصغيرة التى تميل إلى عذب الألحان، ولكن ماذا سيفعل وسحر الموسيقى يجذب الأطفال ويؤثر فهم، فاهتم بهذا الجانب الفنّي وألّف الأناشيد الوطنية

وكان رائدها على مستوى القطر الجزائري، ولا يتوقف عند النظم أو التأليف" بل يتابع عملية التلحين مع أحد الملحنين المعروفين بقسنطينة ويبيدي ملاحظاته إذا كان التلحين يتلاءم" (سماتي، 2010، صفحة 48)، فحرّ في نفس الشيخ أن لا يكون في أدبنا هذا النوع من الأناشيد، فتملّكته الغيرة مما دفع به إلى تأليف كتاب سمّاه الأناشيد الإسلامية التي حملت مقومات الإسلام والعروبة والوطنية.

ويعدّ ابن العابد من الأوائل الذين كتبوا الأنشودة الوطنية للأطفال في الجزائر" ورغم جهوده إلا أن الكثير من أناشيد لم يطبع ولم ير النور إلى يومنا هذا" (سماتي، 2010، صفحة 50)، وقد قال في مقدمة كتابه: " فلقد لمست مع زملائي الكرام أساتذة جمعية التربية والتعليم حاجة التلاميذ لتنمية نشاطهم ونفي السّامة عنهم إلى الأناشيد والأغاني المختلفة المقاصد المتنوعة المشارب فاخترنا لهم ما أمكن اختياره من الدواوين، وهذه قطع أنشأتها لهم مراعيًا في إنشائها الانسجام فقط مع حركات التلاميذ ولم أتقيد فيها بقوانين الشعر وأوزانه إذ لم يكن هذا غرضي" (الجلالي، الأناشيد المدرسية لأبناء وبنات المدارس الجزائرية، 1939)

وقد كتب ابن العابد" كي يملأ الفراغ الروحي الذي استغلته الأناشيد الاستعمارية ويملاً الحياة إنشادا وتربية وتوعية وإرشادا موجهة إلى أبناء وبنات المدارس الجزائرية"، كما يقول في إهداء هذا الكتاب: " أنا مدين بكيانني الإنساني إلى ينبوعي الجمال والقوة الفياضين إلى الملائكة المحتجة وراء أديم الطفولة الشفاف للحيلولة بين البشر، وبين التردّي في جهنم آثامهم، لتتصل أطراف الوجود أولها بآخرها" (الجلالي، الأناشيد المدرسية لأبناء وبنات المدارس الجزائرية، 1939).

وإن كان الشيخ محمد العابد الجلاّلي غير معروف كشاعر، لكنّه كما قال أبو القاسم سعد الله " معروف بحماسة الوطني وغيرته الدينية. وهو من تلاميذ ابن باديس ومن شيوخ مدرسة التربية والتعليم بقسنطينة بعد أن كان مدرسا في الكتانية. فكان حماسه وغيرته وراء وضع أناشيد مدرسية يتغنى بها التلاميذ جماعيا وقد طبع في كتيب سنة 1939م، فنوّهت به كل من الشهاب والبصائر. فقالت الشهاب إنها أناشيد تشتمل على (العقائد الصحيحة والأفكار السليمة والأخلاق الفاضلة) ورأت البصائر أنها مجموعة تشجّع (حركتنا القلمية... ونهضتنا الفكرية)" (القاسم، 1998، صفحة 302، 303)، وهذا الرأي لأبي القاسم سعد الله يؤيد كثيرا مما قيل عن شخصية الشيخ الجلاّلي المشبعة بالقيم الوطنية الأصيلة المتجدّرة والغيورة على النشء الباحثة عن غد أفضل لهذه الناشئة ملؤه الأخلاق والروح الوطنية.

وإذا تأملنا هذه الأناشيد نجدها كلّها ذات طابع تربوي تهيدي كما أراد لها المؤلّف أن تكون، وقد راعى فيها الجنسين البنات والبنين، كما راعى فيها الخفّة والسهولة حتى يسهل على التلاميذ حفظها والترنّم بها.. فهو يراعي خفّة مقاطع الكلام، فكّل بيت يحتوي على أربع كلمات فقط، في كلّ شطر كلمتان، وذلك يسهّل على الأطفال أمر حفظها وترديدها بسهولة ويُسّر.

● مقتطفات من أناشيده: (الجلاّلي، الأناشيد المدرسية لأبناء وبنات المدارس

الجزائرية، 1939، صفحة 8، 9)

يقول الشيخ العابد مناديا الناشئة:

يَأْتِشُّ نَجْمُكَ قَدْ عَلَا	أَعْلِنُ سُرُورَكَ لِلْمَلَا
شَدْتُمْ مَعَاقِلَ عِرْتَا	زَنْتُمْ مَجَالِسَ أَنْسِنَا
وَبِكُمْ حَيَاةَ نَفُوسِنَا	وَسَلُوكِنَا بِكُمْ اتَّزَنَ

ومثل هذه الأناشيد تمّد الناشئة بطاقة وطنية وروحية منقطعة النظير تبقى راسخة فيهم إلى يوم يبعثون. ولعلّ هذا ما رمى إليه الشيخ من تأليف هذه الأناشيد من أجل غرس القيم الوطنية والدينية منذ الصغر. يقول في علاقة الطفل بأمه: (الجلالي، الأناشيد المدرسية لأبناء وبنات المدارس الجزائرية، 1939، صفحة 14)

الطِّفْلُ نُسَخَةٌ أُمِّهِ يَبْدُو لَدَيْهَا كَالِهَالِ
جُودِي لَهُ مِمَّا قَبَسَ تِ وَوَجَّهِيهِ إِلَى الْكَمَالِ
وَالْبَيْتُ رَوْضٌ بِاسْمِ أُمِّ الْبَيْنِ لَهُ جَمَالُ

وقد عرف الأولون قيمة الأم والمرأة بشكل عام فأولوها رعايتهم، فإن نجحت الأمم في تربية البنات، تربّت الناشئة على حسن الأخلاق والسلوك لما للأُم من دور تهندي وتربوي واضح في نفوس أبنائها، وخطّ الجمعية التربوي لم يحد عن هذا الاتجاه، فاهتم أصحابه بتربية البنات بما تمليه التربية الإسلامية القويمية.

ويقول في الدّين واللغة العربية: (الجلالي، الأناشيد المدرسية لأبناء وبنات المدارس الجزائرية، 1939، صفحة 16)

وَالدِّينُ وَالْفُصْحَى هُمَا أَفْوَى رَوَابِطُ الْإِصْبَالِ
فَخُذِي بِهَيْدِيهِمَا غَلًّا مَكِّ تَأْمِي عُقْبَى الْوَبَالِ

فقد ظلّ الشّيخ الجلاّلي- طول مسيرته- يؤكد على هذه الأبعاد القومية والدينية في كل سانحة نثرية أو شعرية، فعلى الأم التركيز في تربيتها الأولادها على هذين المقومين المقدسين (الإسلام واللغة العربية) ففهما المأمّن والمخرج في كل ما يستجدّ في الحياة.

8. الشيخ محمد الجلاي وكتابة تقويم الأخلاق

لم تتوقف جهود الشيخ العابد الجلاي عند حدود الأنشطة المدرسية أو القصّة، بل تعدّاهما إلى تأليف الكتب، وإن كانت في مجموعها لم تخرج عن الإطار التربوي، وبخاصة كتابه "تقويم الأخلاق"، فالعنوان وحده يكشف ما في ثناياه، فهو كما يقول أبو القاسم سعد الله "مشروع طموح أراد صاحبه أن يشقّ طريقاً وحده فعسر عليه لأسباب علمية ومادية. وقد قال إن فكرة التقويم بدت له فجأة، ولم تختمر في ذهنه طويلاً. وإلا أراد أن يقدم به خدمة لبلاده ولو خالف كما قال ما توقعه الشرقيون (عرب المشرق) وما نصحه به زملاؤه الناصحون. ذلك أن الشيخ الجلاي كان يرى أن الجزائر لها خصوصية وأن الأقطار العربية الأخرى متفوّقة عليها (في جميع شؤون الحياة) وأقرّ بأنه) لم يحذ حذو التقاويم العربية في تنظيم تقويمنا) لأن من رأيه أن يكون تقويم كل بلاد صورة صادقة لحياتها" (القاسم، 1998، صفحة 298) فكان تقويم الأخلاق خاصاً بالمجتمع الجزائري وإن قلّد فيه المشاركة فإن خصوصيته الجزائرية بادية للعيان، "وقد جمع التقويم بين دقّته معلومات جمّة الفائدة بالنسبة لتلك الفترة من تاريخ الجزائر ومن أهمّها شؤون القضاء الإسلامي والتعليم العربي وحالة اللغة العربية وموضوعات في الأخلاق الإسلامية" (سماتي، 2010، صفحة 161)، فحاول من خلاله أن يوجّه الجيل الناشئ نحو حياة العزّة وحياة فضلى نحو الكرامة والحرية.

9. الشيخ محمد بن العابد الجلاي والنشاط الصحفي

منذ التحاق الشيخ محمد بن العابد الجلاي ببيت الجمعية، لم يتوقف عن المشاركة في أي عمل إصلاحي متّخذاً كل السبل ومسجراً كل الوسائل، فانسابه للجمعية لم يكن بنظره تشريفا بقدر ما هو تكليف ومسؤولية

عظيمة خاصة في تلك الفترة التي شهدت فيها الجزائر الأمية والجهل وانعدام قنوات التواصل بين أفراد الشعب، لذلك بذل الشيخ جهودا طيّبة في مجال النهوض بالمجتمع من برائن الجهل وقد "رافق ابن العابد مراحل النهضة منذ بزوغ شمسها، وعمل على دعمها وامتدادها، ووجد فيه أستاذه خير معين، ومناصر مخلص، فكان يقوم بمهمته على أحسن ما يرام في جريدة الشهاب في نطاق تحريرها" (سماتي، 2010، صفحة 85)، فقد وجد في هذه المجلة متنفسا ومجالا للإبداع فنشر عبر صفحاتها مقالات عدّة وقصصا سبق الإشارة إليها في مقدمة البحث.

لم يكتب الشيخ الجلاّلي بجريدة الشهاب -وإن لم ينكر فضلها- بل أسس لنفسه صحيفة خاصّة أطلق عليها اسم أبي العجائب، يقول الشيخ الجلاّلي عن هذه الصحيفة: "ويلاحظ في هذا العدد أن تكون الكتابة بشيء من روح التّكته والفكاهة ليخفّ حملها على القراء المثقلين بأعباء الخطوب والدواهي" (بوحجام، 1983، صفحة 187)، فقد حاول الشيخ معالجة القضايا بأسلوب هزلي ساخر تملؤه روح الدعابة.

ذكر أبو القاسم سعد الله صحيفة أبي العجائب في كتابه تاريخ الجزائر الثقافي وأشاد بصاحبها قائلا: "أبو العجائب أنشأها محمد العابد الجلاّلي صاحب كتاب (تقويم الأخلاق) وهو صاحب فكر سياسي واضح وصاحب قلم مزدوج اللغة، وكان من أساتذة المدرسة الفرنسية- العربية الرسمية في قسنطينة التي درس بها مالك بن نبي، وجريدته التي أنشأها سنة 1935م كانت أسبوعية فكاوية انتقادية وأدبية، وصدرت في وقت انتقالي حرج، وكانت تطبع في مطبعة الشهاب (المطبعة الجزائرية الإسلامية بقسنطينة) ودامت نحو سنة، ولا ندري سبب توقفها" (القاسم، 1998، صفحة 257)، فقد سخر هذه الجريدة مرة أخرى للحديث عن الواقع الجزائري في قوالب ساخرة، أراد

من خلالها تشخيص العلل الاجتماعية وعلاجها بأسلوب أدبي مشوّق يروم من خلاله الإصلاح والتغيير نحو الأفضل.

10. جهوده المسرحية:

يعدّ محمد بن العابد الجَلّالي من السباقين في كتابة النص المسرحي الفصيح، حينما كان معلّمًا بمدرسة التربية والتعليم بقسنطينة قبل الحرب العالمية الثانية، ونصوصه في الحقيقة مغمورة لم تر النور في المطابع، فقد ظلّ عبارة عن مخطوطات تحوزها عائلته أو المقربون منه (سماتي، 2010، صفحة 86)، "وهي تمثل عهدا من عهود الفن المسرحي الأول" (بامية، 1982، صفحة 353، 354) ومن هذه المسرحيات نذكر مسرحية مضار الجهل والخمر والحشيش والقمار، وهي مسرحية اجتماعية تقع في أربعة فصول.

يقول في فصل القمار:

- التلميذ: لا أقول لكم السّلام عليكم- تحية المسلمين، فأنتم في فعل محرّم فأخبروني برّبكم، هل أنتم مسلمون؟

- كلّهم: نعم وكيف؟

- التلميذ: يا حسرة على الإسلام إذا كان المسلمون أمثالكم.

- المقامر(1): كيف تسأل عن إسلامنا؟ وأنت ترانا بالشّاش... والبرنوس؟

- التلميذ: يا هذا! إن الإسلام ليس باللباس، بل الإسلام بالقلب الطيّب، والعمل الصالح، فقلوبكم كلها مملوءة بالطمع، وأعمالكم لا تكسبكم إلا المذلّة والهوان.

- المقامر(2): كيف ملئت قلوبنا طمعا؟

- التلميذ: نعم! كل واحد منكم يتمنى أن يغلب خصمه ويأخذ وهذا هو الطمع بذاته!

- المقامر(3): لا. لا، لا طمع! وإنما اجتمعنا لتقصير الوقت...
- التلميذ: عجيب إذن حالكم! فالوقت طويل في نظركم، أردتم أن تختصروه وما تقصروه، ما أكثر جهلكم، أيها المقامرون! فلو كنتم تعرفون قيمة أوقاتكم وأعماركم، لقلتمكم: إنها قصيرة لا تكفي لما نريد لهذا زهدتم فيها فأضعتموها في سفاسف الأمور وفارغات الأعمال، فالوقت له قيمة غالية لا يمكن تقويمه بقيمة. فهم كما قال العرب في حكمهم " الوقت من ذهب إن لم تحافظ عليهم ذهب " (سماتي، 2010، صفحة 50، 51)

وقد عرضت مسرحيات الشيخ في حفلات الجمعية وتظاهراتها الثقافية كما أقرّ بذلك أبو القاسم سعد الله، وما جهود الشيخ محمد بن العابد الجلاي المسرحية إلا إثبات آخر على رغبته الملحة في الإصلاح بأي وسيلة كانت.

11. الخاتمة

في ختام هذه الورقة البحثية أمكن لنا الوصول إلى النتائج التالية:
✓ محمد بن العابد الجلاي السماتي سليل أسرة محافظة متشعبة بالقيم الوطنية والدينية، سار على نهجها وكان خلفا لها في مجال العلم والتعليم والعلوم الشرعية.
✓ وجد الشيخ الجلاي في بيت الجمعية بيتا ثانيا لا يقل عن بيته الأول من حيث الفكر والنهج القويم. فكان العلامة الشيخ ابن باديس بمثابة أب روي له يوجهه ويهتدي بهداه.
✓ لم يدخر محمد بن العابد الجلاي جهدا في سبيل التعليم، وكانت له لمستة الخاصة في تربية الناشئة وفق ما تمليه وسائل التعليم الحديثة وهو ما يكشف عن حسن اطلاعه ورغبته الدؤوبة في البحث عن أنجع الطرق التعليمية.

- ✓ الشيخ مثال للمربي الصبور وصاحب القضية الذي لا يستسلم ولا يفتر رغم العوائق المادية والاجتماعية والسياسية خاصة في تلك الفترة الحالكة من تاريخ الجزائر.
- ✓ أدرك العابد قيمة التعليم في غرس مقومات الأمة فسعى جاهدا إلى تحسين نوعية التعليم خاصة لدى الصغار والأطفال الذين هم مآل الأمة ومستقبلها المشرق، فصالح الأمم من صالح التعليم.
- ✓ الشيخ العابد الجلاي صاحب مشروع حضاري يخصّ أمة بكاملها عماده (الإسلام- العربية- الوطن) ، مستمدّ من ميثاق جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، الذي ظل وفيها لها ولم يحد الشيخ عن دربها إلى آخر رمق في حياته.
- ✓ جنّد الشيخ العابد الجلاي كل إمكاناته الفنية والأدبية لخدمة القضية الوطنية. فاشتغل على أنواع نثرية وشعرية متعددة، كل هذا خدمة للقضية الوطنية والأخلاقية.
- ✓ بذل الشيخ محمد بن العابد الجلاي جهودا طيّبة في مجال الأدب وبخاصة في مجال القصة التي أبدع في كتابتها بشهادة النقاد والعارفين بالمجال القصصي.
- ✓ أدرك الشيخ العابد قيمة الأدب بجميع أصنافه وفنونه في تأدية الرسالة الوطنية النبيلة، لذلك لم يدّخر جهدا ولم يترك باب فن إلا وطرقه من أجل تقويم الأخلاق وغرس القيم الوطنية والدينية والقومية.
- ✓ عرف الشيخ السماتي أثر المسرح في تهذيب العقول وبخاصة الناشئة فانكبّ على تأليف المسرحيات الهادفة، وقام بعرضها في مناسبات عدّة.

✓ حمل الشيخ عبء القضية الوطنية قبل وفي أثناء وبعد الثورة (الثورة لا تعرف الشيخوخة) فلم يتعصب إلا للوطن، ولم يحارب إلا العدو الحقيقي(فرنسا وبعض الخرافات والتقاليد البالية) التي تحطّ من شأن المجتمع وتعوق ازدهاره.

✓ لم يتوقف نشاط الشيخ محمد بن العابد الجلاي رغم تقدمه في العمر وظلّ على نهجه التربوي والإصلاحي إلى أن وافقته المنية. ومهما قيل عن هذا العالم الجليل إلا أن الدراسات لم توقّه حقه خاصة في المجال الأدبي، فهو شخصية تحتاج إلى مزيد من الدراسات بالنظر إلى وطنيتها الفذة من جهة، وإبداعها في مجالات أدبية عدّة من جهة أخرى.

12. قائمة المراجع:

1. بامية، عايدة أديب. (1982). تطور الأدب القصصي الجزائري (1925-1967). الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
2. بن ذياب، أحمد. (1981، 16 جوان). " من رواد الأقصوصة الجزائرية) المجاهد الغيور محمد بن العابد الجلاي". جريدة النصر، ع185.
3. بن نبي، مالك. (1984). مذكرات شاهد القرن. الجزائر: دار الفكر.
4. بوحجام، محمد ناصر. (1983). الصحف العربية الجزائرية. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
5. الجلاي، محمد بن العابد. (1930، أكتوبر). " اللغة العربية في الجزائر". مجلة الشهاب مج5 (12ع)، (32، 45).

6. الجلاي، محمد بن العابد. (1938، ديسمبر). "الإسلام في بلادنا". مجلة الشهاب، مج 14 (ج29)، (14، 27)
7. الجلاي، محمد بن العابد. (1939). الأناشيد المدرسية لأبناء وبنات المدارس الجزائرية. تونس: المطبعة التونسية.
8. خرفي، صالح. (1972). صفحات من الجزائر. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
9. ركيبي، عبد الله. (1969). القصة القصيرة في الأدب الجزائري المعاصر. القاهرة: دار الكتاب العربي للطباعة والنشر.
10. رمضان، محمد الصالح. (1968). محمد بن العابد الجلاي في سطور. مجلة الواحات ، .
11. سعد الله، أبو القاسم. (1998). تاريخ الجزائر الثقافي. بيروت: دار الغرب الإسلامي.
12. سماتي، عتيقة. (2010). محمد العابد سماتي (حياته وآثاره). الجزائر: دار السبيل للنشر والتوزيع.
13. شربيط ، أحمد شربيط. (1998). تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة (1947- 1958) سوريا: منشورات اتحاد الكتاب العرب.
14. العلوي، محمد الطيب. (1995، جانفي). "محمد بن العابد الجلاي". مجلة الثقافة، (ع107)، (56-73).
15. كرام، سليم. (2013). محمد بن العابد الجلاي "العالم المرّي والوطني المجاهد". الجزائر: الجمعية الخلدونية للأبحاث والدراسات التاريخية.
16. مرتاض، عبد المالك. (1983). فنون النثر الأدبي في الجزائر. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

17. مرحوم، علي . (1977، سبتمبر). "الأديب الثائر محمد العابد الجلاّلي".
مجلة الثقافة ع19، (71،85).
18. مضمودي، فوزي. (2001). أعلام من بسكرة. الجزائر: مطبعة الصقر.